

يكون من المنطقي لليهودي المتبرد على يهوديته ان يعود للطبيعة والوثنية القديمة ، وهذا هو ما فعله تشرنحوفسكي في كثير من تراجمه وقصائده . فهو قد ترجم الى العبرية عديدا من القصائد « الوثنية » مثل الايلاذه والاوديسة ، كما انه عساده ما يشير في شعره الى آلهة وثنية مثل ابولو وادونيس . كما ان الشاعر يتخذ موقفا وثنيا اغريقيا في بعض قصائده مثل السونات رقم ١١ من سلسلة السونات المعنونة « الى الشمس » :

ان ظلي ليحطني على ان اتغنى بالكواكب والشمس
هل ستنصبون من انفسكم قضاة وترغفونني في التراب
لانني لا اصب خمرى لاله الجماهير
لا ولا اضع على رأسه الاكابل ، راقصا مع الناس
لانه في معبده السماوي ، لا يتجسد في صورة ولا يظهر في كتاب
وهو يسري في جمال كل الاشياء التي تصدر عن الكل الكابل ، وملاكه السماوي لا يجيب على سؤال .
كما انه لم يات قط ليظلم نور عيونني بكتاب الاسلاف المتفطرس
كتاب أمهرته بتوقيعي حسب شريعة القانون كيثاق غبي
ولكن ان مرت عليك موجات من الوحي المقدس
وسرت فيك رجفة الفرخ اثناء الخلق النبوي
وان شعرت بغزارة حياة القلب تسري كل الاشياء الخفية

ان شعرت بكل هذا ، يقول الشاعر ، فلتعرف اذن ان اله الطبيعة قد تقبلك . وهو اله ، كما نرى ، يتف في مقابل الاله اليهودي القديم الذي يسن القوانين ويرسل بالكتب المتفطرسة التي ينوء اليهودي بحملها . ان هذه القصيدة تذكرنا بقول موسى هس ، الفيلسوف اليهودي ، ان الدين اليهودي مثل المصيبة التي لا يملك اليهودي الا ان يحملها . ولكن تشرنحوفسكي يفضل ان يهرب بكل جوارحه الى اله الطبيعة والى عالم الاغريق الوثني ، يقول في سوناتنا رقم ١٣ :

يا آلهة العالم الذي اخفنى امسكي بي ، انا لا امك الفرار
يا آلهة الامة التي تضفي الجمال على كل ما لمستها يداها .
أضحي الجمال حكمتها ، وحكمتها الجمال .
ان روعك لتسقط مثل المطر على العالم السفلي وعلى المحيط .
وهو يتساءل في اخر هذه القصيدة :

أي السبل سأختار ، وأي الدروب سأسلك ؟
هل اصب زيتي للرب ، ام سأختار زيوس ؟

والتساؤل هنا خطابي ، فلقد اختار الشاعر طريق الجمال والفرح ، طريق اليونان والوثنية ، مخلفا وراءه تاريخ اليهود الطويل بكل مآسيه وآهاته ، فلقد قال الشاعر في السوناتا الاولى مخاطبا الشمس :

انني انحنى لك في صمت ، انني انحنى في بهجة لاصلي لك
مثلني مثل سنبلة ذهبية في حقل قمح مترع بالحبوب .

ان كيانه وذاتيته اليهودية يذوبان تماما في هذا الكل الراجع ، او كما يقول في السوناتا الثامنة :

سأشدو في جوقة اللانهاية ، ولن اكف عن الشدو .
ففي ظلي يقطن الندى الذي لا يزال يتساقط فوق التلال .

والتماذج المسابقة التي اقتبسناها يسري فيها تيار قوي للغاية من وحدة الوجود ، فالشاعر تبطلعه موجات الوحي المقدس التي تجري « في كل الاشياء الخفية » ، والشاعر